الترجمة الأدبية من اليابانية
-حول تقديم ثقافة جديدة -

أ.د. عصام محمد رياض حمزة(*)

مقدمة :

على الرغم من مرور ما يزيد على ثلاثين عامًا، مازالت الترجمة عن اليابانية كطفل فى عامه الأول يحاول أن يبدأ خطواته الأولى على الأرض. فمنذ إنشاء قسم اللغة اليابانية وآدابها بكلية الآداب جامعة القاهرة فى منتصف السبعينات من القرن الماضى، وهو تحف به التوقعات ويحدو القائمين عليه الأمل فى أن يكون معبرًا قويًا للثقافة اليابانية فى أقصى الشرق إلى عالمنا العربى ومنه إلى الشرق الاوسط وما حوله، وبالقدر نفسه سبيلاً مباشرًا للثقافة العربية تسلكه إلى ذلك الجزء القصى من الشرق الذى تؤمن بانتمائها إليه والذى ظل على غير علم كافٍ بها لسلوكه إليها طرقًا أخرى عبر الترجمات لأدبيات غربية منذ أن انفتح على العالم بعد عزلة، وبدأ طريقه لبناء أمة حديثة فكرًا وثقافة، ولصناعة دولة متقدمة تقنية وإدارة فكانت له تجربته مع الغرب المتقدم صاحب الحضارة الحديثة بما كان لها، وما كان منها.

إلا أن الانتباه لضرورة اللقاء المباشر بين الشعوب وثقافتها، دعا اليابان بعد حرب أكتوبر 1973، أن تغير الزاوية التى اعتادت أن ترانا منها فقد كان لاستخدام العرب سلاح البترول أثره القوى على اليابان اقتصادياً واجتماعياً، إذ لفت انتباه الشعب اليابانى للعالم العربى ، فعملت على ألا تكون علاقاتها معنا قاصرة على أسواق النفط، أو تسويق منتجاتها إلينا، بل سعت أن ترانا وأن نراها بأعين مجردة لا ترى إلا الحقيقة. فنشطت فيها إثر ذاك حركة للترجمة عن العربية فى مجالات الفكر والأدب الحديث والمعاصر، وحققت الأعمال المترجمة رواجًا كبيراً. لكنها ما لبثت بعد فترة أن خبت وتراجعت عندما استقرت أسعار البترول، ثم كانت لها طفرات محدودة مع كل حدث مؤثر فى المنطقة العربية يطرأ على الساحة العالمية وما أقل ما يؤثر الآن من أحداثنا. ومع ذلك لا يمكن أن ننكر أن هنالك من يقبعون فى الظل من العلماء والمتخصصين يقضون بعضاً من العمر تحت ضوء مصابيحهم عاكفين على ترجمة ما يستطيعون من تراثنا العربى ومما تصدره دور نشرنا من إصدارات معاصرة، وقل ما يجدون فيها ما يلفت انتباههم ويصلح لقرائهم. هذا ما كان من الآخر على الطرف المقابل للجسر. فماذا عنا نحن هنا؟

أعتقد أننا مختلفون، فلم تكن نظرتنا إليهم ذات طابع تجارى أو موجهة نحو هدف اقتصادى حين وضعنا معهم دعائم الجسر؛ ولأننا لم نكن يومًا كذلك ونحن ننقل إلينا الثقافات الأخرى للشعوب المحيطة بنا، سواء كانت من ثقافات العالم القديم أو ثقافات ذلك العالم حين

(*) رئيس قسم اللغة اليابانية وآدابها – بكلية الآداب – جامعة القاهرة

صار جديدًا متجددًا، بل وسابقًا لنا، فليس هناك ما يدعونا اليوم كى تكون ترجمتنا للآداب اليابانية موسمية، أو مواكبة لأحداث معينة، بغية رواج لبضاعة؛ ذلك أننى أزعم أننا لم نعتد أن نرى فى الثقافة سلعة قد تكون عرضة للبوار، وإنما المعرفة حق كحق الحياة لكل كائن، عليه أن يطلبها فيجدها. ولهذا يجب الاعتناء بها حين ننقلها مترجمة، وأن نضعها فى إطارها الحضارى المناسب حتى لا تهدر كما أهدرت من قبلها سبل الحياة الأخرى، وأصابها ما أصاب الموارد الطبيعية من سوء استخدام وتلوث.

ومن هنا يكون أمام من يقدم على تقديم الثقافة اليابانية مترجمة إلى قارئها العربى بعض من الإشكاليات أو القضايا لابد له من حلها والاهتمام بها. فماذا نقدم ؟ وكيف نقدمه ؟ ومن الذى يجب أن يقدم على ذلك ويتصدى له ؟ وماذا يمكن أن يواجه من مشكلات ومواقف إن هو أقدم على ذلك ؟

أولاً : ماذا تقدم ؟

الإقدام على تقديم الثقافة اليابانية إلى المكتبة العربية، لابد وأن يسير فى مسارين متوازيين، لكنهما سيلتقيان فى النهاية فى مصب العقل العربى، الذى يتوق إلى أن تجتمع لديه اليابان بقديمها من أساطير وروحانيات شرقية وضعت الأساس للفكر الياباني الذى صاغ رؤية خاصة له عن الكون، وعلاقته بالإنسان على الأرض وتحت السماء، ودوره فى الحفاظ على الجمال والرقة والدقة المتناهية، مع بساطة تصل لحد الزهد؛ وبجديدها المعاصر المتقدم تكنولوجياً وعلمياً فى جرأة على الاقتحام والإقدام دون وجل أو محاذير فى كل المجالات الحيوية دون أن ينسى الدقة والرقة والجمال وسهولة التعامل مع أدق المتقنيات وأحدثها تقدمًا، وتفوق فى ذلك على المنتج الحضارى للثقافة الغربية الذى اعتدناه كما اعتاده العالم منذ أن عرفنا ثقافته. ولهذا كله ، يجب أن تسير الترجمة عن اليابانية بصفة عامة بناءً على خطة دقيقة لما يجب أن نترجمه. فلابد من اختيار أمهات الكتب من التراث حتى العصر الحديث والذى ينتهى مع انتهاء الحرب العالمية الثانية، ثم يتم اختيار أهم الأعمال الفكرية والثقافية والأدبية التى ظهرت وأثرت فى المجتمع الياباني فى الستين عاماً الأخيرة. كما لا يجب أن نغفل تلك الأعمال التى أضافت فكراً ومنهجاً إلى العلوم الإنسانية، وفلسفة العلوم الطبيعية فى نصوص أدبية راقية.

فإن نحن قصرنا الجهد على ترجمة التراث والأعمال القديمة، انقطعنا عن مسايرة العصر، وحبسنا عقلنا العربى معنا فى عصور قديمة قد يكون لدينا فيها أفضل مما كان لديهم، وإن تركنا القديم وبدأنا من العصر الحديث أو بالأعمال المعاصرة فقد قطعناها عن جذورها، وقدمنا إلى قارئنا ثماراً لم يعرف لها شجراً، ولم ير لها أزهاراً، بل قد لا يعرف إن كانت قد نبتت على شجر أو اجتثت من فوق الأرض، فيتوجس منها ولا يقربها، وإن قربها لا يألفها ولا يقبل عليها، وبهذا

نكون قد فقدنا قارئاً يتوق يوماً لمعرفة ثقافة جديدة، وحين التقى ببشائرها لم تترك لديه ما توقعه منها، فيعزف عنها وينفر مما قد يتوالى منها.

ثانياً : مشكلات الترجمة من اليابانية :

1- المعاجم المتخصصة

إن تم الاتفاق على أن تكون حركة للترجمة فى مسارين كما سلف الذكر، فإن القيام بها يحتاج إلى توافر مجموعة من المعاجم المتخصصة، ليس فقط فى أنواعها أدبية كانت أو علمية أو فى مواد العلوم الاجتماعية وغيرها، ولكن أيضاً فى اللغة اليابانية نفسها فى عصورها المختلفة. فكما قد يعلم البعض اختلفت اللغة اليابانية فى قواعدها وبنية جملتها فى عصورها القديمة، ثم فى عصورها الوسيطة، وفترة ما قبل العصر الحديث، ثم فى عصر نهضتها الحديثة؛ وكان آخر ما ظهرت علينا به من تغير منذ ستين عاماً تقريباً بعد أن انتهت من الحرب العالمية الثانية، ودلفت إلى الفترة المعاصرة. وصاحب كل هذه التغيرات اختفاء الكثير من الكلمات، وتغير استخدام الكثير الآخر، بل وأضيفت حروف وأشكال من المقاطع الصينية التى ظلت تستخدم، وتقوم بدورها فى عصور مختلفة، لتختصر أو تختزل، بل وتحذف أحياناً ليحل محلها شكل آخر، أو يستعاض عنها بأساليب لغوية أخرى. ولذلك كله يحتاج العمل المترجم إلى قاموس لغوى يناسب العصر الذى ظهر فيه؛ وإن كان هناك بعض من الأعمال الأدبية الكلاسيكية فى الأدب والفكر اليابانى ، قام بعض اليابانيين فى عصور متأخرة بإعادة صياغة نصوصها بلغة عصرهم لتتيسر قراءتها وفهما لمعاصريهم من اليابانيين أنفسهم. لكنها وإن حسن بعضها، فقد بعد الآخر بها عن روح عصرها وبلاغة ألفاظها إلى حد لا يستهان به. ودفع هذا بعض المترجمين فى لغات أخرى إلى ترجمة الصياغات المعاصرة لتلك الأعمال التى قد تبعد عن عصرنا بعشرة قرون، أو تزيد. هذا فضلاً عن أنه لا توجد معاجم وقواميس " يابانية – عربية " إلى الآن، وما قام به البعض من محاولات لم يتعد إصدار لمجموعة من معانى المفردات التى توجد فى الكتب الدراسية التى يستعين بها المبتدؤن فى سنوات دراستهم الأولى. وهذا لا يساعد من قريب أو من بعيد فى عمل المترجمين.

أما القواميس والمعاجم فى لغات وسيطة كالإنجليزية مثلاً، وهى اللغة السائدة فى القواميس والمعاجم عن اليابانية، فهى تقتصر على اللغة اليابانية المعاصرة، دون القديمة أو الوسيطة، كما قد تقف عاجزة أو فى شئ من القصور أمام بعض المعانى لمفردات يابانية لا تجد لديها ما يقابلها أو يفسرها، ناهيك عما يجده المترجم من حيرة حين يحاول نقلها إلى العربية، وفى هذا الكثير من العناء والجهد وأكثر منه الحاجة إلى مترجم من نوع خاص.

2- الكتابات العربية فى الثقافة اليابانية

لاشك أن وجود كتابات ومؤلفات بالعربية فى الثقافة اليابانية والفكر اليابانى ، وكذلك فى التاريخ والمجتمع والسياسة والاقتصاد وغيرها تساعد المترجم الذى يسعى لتقديم الأعمال الأدبية اليابانية للقارئ العربى، ففى وجود مثل هذه الأعمال فى المكتبة العربية، وقيامها بتقديم خلفية ثقافية فكرية تاريخية عن اليابان يجنب المترجم مشقة البحث فى المراجع ودوائر المعارف المختلفة لتقديم شروح وتفسيرات وتعريفات عن كل مصطلح أو حادثة أو اسم إنسان أو نبات يعترض سبيل عباراته أثناء الترجمة، حتى قد تصل الحاشية فى بعض الأعمال إلى نصف حجم العمل نفسه أو ما يقاربه. وهذا ما قد يفسد على القارئ متعته، إذ يفقد العمل لديه بعضا ليس بالقليل من قيمته البلاغية، وحبكة السرد إن كان أدبياً، أو انقطاع خيوط الفكر وأشرطة التصور إن كان فى الثقافة مثلاً.

وهذا الجهد من تقديم الشروح والتفاسير وإضافة الحواشى اللازمة قد لا يكون متوافراً لدى من يتصدى للترجمة وهم فى الأصل قليلون. ولذا يستلزم ذلك وجود نوعية من المترجمين ذوى مواصفات خاصة؛ لأن تلك المؤلفات والكتابات فى اللغة العربية عن اليابان فى موضوعاتها المختلفة مازالت قليلة لا تذكر.

3- المترجمون :

قليلون هم الذين يستطيعون الترجمة من اليابانية إلى العربية، فهناك عدد ممن درسوا اليابانية فى مصر كانت لهم محاولات قليلة أشبه بنتائج التدريبات المدرسية على ترجمة النصوص المختلفة، وما زالوا فى أمس الحاجة إلى التوجيه والإرشاد، ومزيد من التدريب.

إلا أنه حتى من بين هذا العدد القليل، لا نجد إلا نذراً يسيراً منهم يسعى إلى الترجمة الأدبية. إذ يهرع الآخرون – وهم أيضاً نذرٌ يسير – إلى تلك الشركات ومكاتب التمثيل التجارى لترجمة ما قد يكون لديهم من أوراق لمواصفات بعض المنتجات، وما إلى ذلك، لا لأنهم يجيدون ترجمة الأسماء العلمية وبعض الإرشادات المصاحبة لتلك المنتجات، فهذا أمر مشكوك فيه، ولكن لأن الجهد المبذول فيها أقل بكثير من ترجمة الأعمال الأدبية، ومع ذلك فعائدهم المالى منها مازال كثيراً، لأن المترجمين عن اليابانية مهما كان مستوى ترجمتهم مازالوا قليلين، ومن يمكنه مراجعة ترجماتهم وتصويبها – إن كان هناك من يهتم بطلب المراجعة والتصويب – يعد على أصابع اليد الواحدة.

ثالثا : حلول مقترحة

إن فكرنا فى اقتراح حلول للمشكلات التى تواجه الترجمة من اليابانية، كما سبق ذكرها،

فنجد أن ما يمكن أن نطرح له حلولاً هو الجزء الخاص بالمترجمين وكيف يترجمون، أما فيما يتعلق بالمعاجم، فلا مناص من توافرها فى أنواعها المختلفة لتناسب الترجمة فى مختلف التخصصات، وتختص باللغة فى عصورها المختلفة. أما عن وجود معاجم وقواميس متخصصة "يابانية – عربية " أو العكس، فذلك أمر لابد أن يأخذ وقتاً طويلاً حتى يتحقق، فليس المطلوب مجرد قاموس عادى. ولذلك لابد من مشاركة المتخصصين كل فى مجاله فى صناعة تلك النوعية من القواميس، وهم بدورهم يحتاجون إلى فترة ليست بالقصيرة حتى تنضج خبراتهم وتتعمق معارفهم ويتأكد لديهم اليقين بما يريدون، فتكون مساهمتهم فيها كما يرغبون.

كذلك المؤلفات والكتابات فى موضوعات الدراسات اليابانية، فلا نملك حيالها إلا أن نطلب من المتخصصين الكتابة ووضع المؤلفات، وتشجعهم الجهات المعنية بثقافات العالم، وأفكار شعوبه على الاستزادة من تلك الكتابات؛ وإن كنا اليوم فى زمن صار لوسائل الاتصال الأخرى السطوة على سبل المعرفة، فيمكن أيضاً لتلك الموضوعات أن تجد لها مجالاً فسيحاً فى وسائل الإعلام المرئية، وعلى شاشات الحواسيب الخاصة، حتى وإن لم يفقد الكتاب قراءه بالحد الذى يدعونا كى نلجأ لما دونه، فلا بأس أيضاً من أن تشاركنا تلك الوسائل الجيدة الدور فى نشر المعارف بالثقافات الجديدة، مما يسهل الأمر على من يقوم بالترجمة الأدبية ويبقى للنصوص المترجمة متعتها، وللأفكار اتصالها دون أن تقطعها حاشية أو تنويه.

بقى لنا المترجم فى النهاية، وهو فى حالة الترجمة الأدبية من اليابنية كل ما بقى لنا من ذخيرة نطمح أن يحل لنا ما يعترض طريقها من مشكلات، ويمكن هنا اقتراح بعض الأمور لإعداده، وكذلك ليحرص عليها من يرى أنه قد تجاوز مرحلة الإعداد، وله ترجمات قد صدرت لأعمال قليلة؛ وهو بذلك يمكنه المشاركة فى الإعداد والتدريب، وهم كما سبق الذكر أقل من أصابع اليد الواحدة.

من الاقتراحات التى يمكن تقديمها فى هذا الصدد :

1- الاهتمام بذلك النذر اليسير الذى يرغب فى الترجمة الأدبية عن اليابانية، والعمل على صقل الموهبة لديه، بوضعه فى بيئة علمية صالحة، وعقد سلسلة من "ورش العمل" لتدريبه وتشجيعه على الإبداع فى فن الترجمة ، وذلك بعمل مشروع لشباب المترجمين ينشر ما يقومون بترجمته فى مرحلة متقدمة من التدريب، مما يجعلنا نقنع بأننا مهدنا الطريق، ووضعنا اللبنات الأولى لجيل من المترجمين وإن قل عددهم الآن، فالعبرة بالكيف.

2- ومن أجل ذلك الكيف، أو النوعية المطلوبة للمنتج المترجم، لابد من العناية باختيار نوعية المترجم المناسب للنص المناسب. فمن غير المقبول أن يتصدى مترجم لنص ما، دون أن يكون متخصصاً فى موضوعه، وغير ملم بلغة العصر الذى كتب بها، وكانت له من

المعاجم اللازمة، ما يساعده فى غياب المعاجم والقواميس اليابانية العربية.

3- كذلك لابد للمترجم أن يكون على دراية كاملة كالمتخصص تماماً بالمصطلحات والتعبيرات اليابانية فى سياقها الفكرى أو التاريخى، يستعيض بها عما قد لا يجده فى معاجم اللغات الوسيطة؛ وفى هذه الحالة يفضل فيمن يتصدى للترجمة أن يكون متخصصاً فى موضوع الكتاب الذى يود ترجمته.

4- فى النهاية، لابد للمترجم عن أى لغة أن يكون متقناً للغته الأم التى ينقل إليها، ولا أعنى هنا المامه بقواعد النحو والصرف وأساليب التقديم والتأخير وما إلى ذلك، بل أعنى أنه يجب عليه أن يعد معجماً خاصاً لكل نص يريد ترجمته، معجم من الكلمات والمصطلحات فى لغته الأم يناسب النص المراد ترجمته من حيث الموضوع والمادة، بل ومن حيث استخدام المفردات الملائمة للعصر، أو الحقبة التاريخية التى كتب فيها النص الأجنبى ومراعاة تكوين مادته اللغوية فى عصرها؛ حتى لا تصبح كل النصوص المترجمة مهما اختلفت العصور التى كتبت فيها إذا ترجمناها نجدها كلها فى لغتنا اليومية المعاصرة، بل إننا نجد أحياناً ما يقوم مترجم واحد بترجمة عدة أعمال أدبية لأدباء مختلفين من عصور متباعدة، إلا أننا نقرأها جميعاً فى العربية كما لو كانت لشخص واحد يعيش الآن بيننا؛ إنه بالطبع ذلك المترجم الذى أطلق العنان للغته وأسلوبه وحرضها على أن تزهق روح النص، بعد أن حررته من أسلوب كاتبه ورونق خصائص لغته الأدبية.

فمثل هذا المترجم هو الذى لم يجعل لديه معجماً لكل نص؛ يراعى فيه اختيار مفردات وأساليب عصر النص الذى يترجمه، وموضوع النصوص التى يتصدى لترجمتها. فهو حين يفعل ذلك لا يكون أهلاً لذلك النص، ولا كفؤاً لينهض بعبء ترجمته. ويكون بذلك غير قادر على أن يساهم معنا فى حل مشكلات الترجمة الأدبية من اليابانية، بل أصبح هو نفسه من أهم تلك المشكلات التى تعوق تقديم ثقافة جديدة.